

بسم الله الرحمن الرحيم
مممممم

شهادات اختبار العقيدة "Libelli"
بقلم / سهير زكي بسيونى

من بين التشريعات والقرارات التي صدرت خلال العصر الامبراطوري في روما ، كان القرار الهام الذي أصدره الامبراطور دقيوس بعد توليه عرش الامبراطورية ورغم فقدان نص القرار ، الا أنه من خلال النصوص الادبيّة والوثائق البردية المعاصرة امكن معرفة موضوعه . لقد امر دقيوس ان يقدم سكان الامبراطورية التضحيات للالهة الوثنية ، على أن يحصل كل من أدى هذه التضحيات على شهادة $\lambda\iota\beta\epsilon\lambda\lambda\omicron\varsigma$ ^(١) تثبت أنه أدى المطلوب ^(٢) ، ومن لم يحصل على هذه الشهادة فهو عرضة للعقاب حتى الموت .

ولكن ما الذي دفع دقيوس الى اصدار هذا القرار ؟
لقد أخبرنا المؤرخ المعروف يوسبيوس ^(٣) وهو المصدر الأدبي الأساسى الذى اعتمدت عليه فى البحث ، ان فيليبوس حكم الامبراطورية سبع سنوات وان دقيوس تولى الحكم بعد وفاته ، بسبب عداوته لفيليبوس قام بحملة اضطهاد ضد الكنيسة .

$\delta\varsigma\ \delta\eta\ \tau\omicron\upsilon\ \pi\rho\omicron\varsigma\ \phi\iota\lambda\iota\pi\pi\omicron\upsilon\varsigma\ \acute{\epsilon}\chi\theta\epsilon\upsilon\varsigma\ \acute{\epsilon}\nu\epsilon\kappa\alpha\ \delta\iota\omega\gamma\mu\omicron\upsilon\varsigma\ \kappa\alpha\tau\alpha\ \tau\omega\acute{\nu}\ \acute{\epsilon}\kappa\kappa\lambda\eta\sigma\iota\omega\acute{\nu}\ \acute{\epsilon}\gamma\chi\epsilon\tau\epsilon$

(٤)

(١) عن كلمة Libellus واستخداماتها المختلفة انظر .

Oxford Classical Dictionary S.V. libellus; Taubenschlag, The law of Greco Roman Egypt P. 385, 410; J.A.Grook, Law and life of Rome. 1984, P. 21, 275-77.

- (2) Cf. I. Bell, Cults and Creeds in Graeco Roiman Egypt. Liverpool, 1953, P. 85 J.R. Knipfing, The libelli of the Decian Persecution (Harvard Theological Review 16) P. 345.

(٣) عن فيليبوس انظر :

M. Rostovtzeff, The Social and Economic History of the Roman Empire 2nd ed. Oxford, 1957. P.459.

- (4) Eusebius, H.E. VI. 39.

فالمعروف ان فيليبوس كان يميل الى المسيحيين ، بل لعله كان يدين بالمسيحية (١) ايضا ، ولذلك اضهد دقيوس المسيحيين انتقاسا من فيليبوس . ولكن يرجع بعض المؤرخين الحديثين السبب في هذا القرار الى ان المسيحيين كانوا قد بدأوا يظهرن كقوة يخشى بأسها . فالاباطرة الرومان اتبعوا منذ بدايـة حكمهم سياسة التسامح الديني وحرية العبادات في الولايات التي فتحوها ، ولم يتدخلوا في المعتقدات الدينية للسكان الا من أجل اسباب سياسية او من أجل اسباب تتعلق بعبادات خرد ، الدور على اتباعها . وعلى ذلك فانهم عندما اضهدوا المسيحيين فانما كان ذلك لرغبتهم في ان يشاركوا في العبادات المعترف بها بواسطة الدولة وان يقدموا اليها التضحيات . اما ما اختاروه لمعتقداتهم فهذا أمر يخصهم وحدهم .

ولعل المسيحيين اذا احتفظوا بعبادتهم لانفسهم ، ولم يعرضوا معتقداتهم على الملأ ورفضهم المشاركة في الاعمال الجماعية للعبادات الوثنية ، لظلت السلطة راضية تماما لغض الطرف عن عباداتهم . وربما يظهر ذلك واضحا في كلمات الامبراطور تراجانوس . فهو يحدث احد الحكام قائلا : اذا وقف المسيحيون امامك ، فافعل

F.S. Salisbury and H. Mattingly, the reign of Trajan Decius, (JRS. 14, 1924) P. 8. (١)

M. Grant, History of Rome, London 1978, P. 307 (٢)

مصطفى العبادي ، مصر من الاسكندر الاكبر الى الفتح العربي ، ص ١٩٧ . Bell, Op.Cit. P. 82. (٣)

(٤) يمكننا ان نضرب مثلا هنا باليهود ، فاليهود حظوا بكل الاهتمام من الاباطرة الرومان الذين منحهم مطلق الحرية في العبادة ، ولكن عندما رفض اليهود وضع تماثيل الامبراطور كاليجولا في معابدهم كما اعتاد ان يفعل الوثنيون ، وقاموا بتحطيم احد المعابد التي أقامها اليونانيون لامبراطور ، ثنسار كاليجولا ثـورة كبيرة عليهم وجردهم من امتيازاتهم التي منحها لهم الاباطرة السابقون . عن هذه الاحداث : انظر : عبد اللطيف على ، مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء الاوراق البردية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٩٩-١٠١ .

ما في وسعك للتوصل الى اتفاق معهم ، فاذا استمروا رافضين للتضحيات فليأخذ
القانون مجراه ، ولكن لا تجعلهم شغل الشاغل ، ويبدو من ذلك الحديث
ان الحكم كان عليهم تحاشي الصدام مع المسيحيين .

وليس صحيحا ان اضطهاد المسيحيين قد حدث فجأة على يد الامبراطور
دقيوس ولكن هناك بعض الكتابات تبين ان المسيحيين كان يضحي بهم ويقدمون لداوس
تحت اعدار واهية . ولنتبع ما كتبه ترتوليانوس لنوضح ذلك .

يقول : اذا فاض التبر حتى الجدران ، واذا عجز النيل عن الوصول الى الحقول
اذا ضنت السماء بامطارها ، اذا حدثت الزلازل ، اذا حدثت المجاعة ، اذا انتشر
الوباء ، تتعالى الصيحات في الحال : فليلقى بالمسيحيين الى الاسود .^(٢)

وفي بداية القرن الثالث ، وبعد ان تغلفت المسيحية في انحاء مصر أمر
سبتيوس سفيروس بعمل حملة ضدها ، وكانت الحملة عنيفة وخاصة في الاسكندرية
وقد تعرض المسيحيون من انحاء مصر للمحاكمة والاعدام . وقد اضطر كلمنت الاسكندري
للفرار من المدينة بسبب هذه الاضطهادات . وفي ٢٣٥ قام ماكسميوس الاول بنفى
بعض الاساقفة من روما الى سردنيا ونظم بعضا لقوانين الصرامة ضد المسيحية وخاصة
ضد رجال الدين القائمين عليها .^(٣)

وعندما تولى دقيوس عرض الامبراطورية الرومانية عين فاليريانوس ليشد من ازره ففى
ادارة الامبراطورية ، وقد حث كل منهما الآخر على اضطهاد المسيحيين .

(1) Bell, Op.Cit., P. 33

(2) Tertullianus, Apol. XI

(3) Bell, Op. Cit., P. 33

(4) M. Grant, Op. Cit., P. 307.

ἀλλήλους εἰς θεομαχίαν παρακροτήσαντες διωγ-
μὸν ἐπηγείραν κατὰ τῶν χριστιανῶν σφοδρότατον

وقد بلغ اضطهاد المسيحيين في عهد دقيوس حدا كبيرا واعتبر حكمه نكبة على
المسيحيين . ففي قراره الذي يرجع انه صدر في ديسمبر من عام ٢٤٩م اصدر
اوامره التي كل سكان الامبراطورية للتضحية للالهة الوثنية ، سواء كانوا مواطنين
أم غير مواطنين ، ذكورا ، ام اناثا ، كبارا ام صغارا .

أي أن القرار كان شاملا للجميع كما أنه لم يصدر للمسيحيين فقط كما يرى جرانث
او للمشكوك في انهم من المسيحيين . فمن بين الشهادات التي تم العثور عليها
لدينا شهادة مقدمة من كاهنة وثنية لالة بتسوخوس (٥)
تذكر انها امضت حياتها تضحى للالهة ، وانها طبقا للاوامر الصادرة في ذلك
الوقت تقدم التضحيات وتسكب المشروبات لهذه الالهة . ومن غير المعقول ان يشك
المسؤولون عن هذه التضحيات في أن هذه الكاهنة تدين بالمسيحية .

تعتبر الـ *Διβελλος* شهادة ادارية لاثبات الولاء والتضحية للالهة
الوثنية تقدم في شكل طلب الى هيئة من الموظفين ، ثم بعد أداء التضحيات
والطقوس اللازمة توقع هذه الهيئة أو أحد اعضاءها على الطلب فتصبح شهادة مصدق
عليها وتقدم عند اللزوم لاثبات وثنية حاملها . ولتتناول الآن إحدى هذه الشهادات ثم
نتبعها بالتعليق والتحليل .

Zonaras, ii, 584, 20

(١)

(٢) مصطفى العبادي ، نفسه ، ص ٢٧٧ .

Knipfing, Op.Cit., P 351

(٣)

Grant, Op.Cit., P. 307

(٤)

L. Mitteis and U. Wilcken, Grundzuge und Chrestom-
athie der papyruskunde, Berlin, 1912, I, 2, No. 152.

(٥)

" الى الهيئة المختارة لمراقبة التضحيات بالمدينة ، من اوريليوس . ثيون ابن ثيودوروس ، امة بانتونوميس ، من نفس المدينة . لقد اعتدت التضحية وسكب المشروبات لالهة بدون انقطاع ، والان ، في وجودكم ، وتنفيذا للقرار سكب المشروبات وضحت وتناولت من الاضحية المقدسة ، انا ومعى ابني اوريليوس ديو سكوروس وابنتي اوريليا لايس . ارجوكم ان تشهدوا بذلك بالتوقيع ادناه . العام الاول من الامبراطور قيصر جايوس مسيوس كوينتوس تراجانوس دقيوس يوسيبيوس يوتوخوس اغسطس ٢٠ بؤونة .

تبدأ الشهادة عادة كما يتضح مما تقدم بمخاطبة اللجنة المختارة للاشراف على (٢) التضحيات ،
 Τοῖς ἑπὶ τῶν θυσιῶν ἡμετέροις
 نفهم من ذلك انه قد اقيمت لجان وهيئات محلية في مدن وقرى مصر لاعداد ومراقبة وتنظيم عملية التضحيات . ويبدو ان عدد هذه اللجان كان يعتمد على حجم و ثراء وأهمية المنطقة اداريا . ومن المتوقع ان تكون المجالس المحلية التي أنشأها سفروس في مدن وقرى مصر قد خدمت في اعداد هذه اللجان ، وتقديم الموظفين للمشاركة فيها . ولم تقتصر هذه اللجان على مصر فقط ، بل كانت تؤدي عملها في جميع انحاء الامبراطورية الرومانية . وقد اعدتها الادارة بناء على (٤) التعليمات التي صدرت الى حكام الولايات .

بعد مخاطبة اللجنة يبدأ المتقدم بالطلب بتقديم نفسه ، ولم يكن من الضروري ان يلتزم كل فرد بتقديم شهادة خاصة تثبت وثنيته ، فبعض الشهادات مثل الشهادة المذكورة كانت تتضمن اسماء عدد من الاشخاص واحيانا كانت تتضمن اسرة بأكملها ، ولايضاح ذلك نستعرض بعض الاسماء التي وردت في هذه الشهادات .

(1) P. Oxy. IV. 658.

(2) Cf. Pap. Hamb. 10; Pap. Rainer, 22; Wilcken, Chrest 124.

(2) Foucart, Les certificats de sacrifice pendant la persecution de Decius (250) in Journal des savants, 1908, P. 175.

(4) Knipfing, Op.Cit., P. 351

من اوريليا اموناريون ، أنا وابنائى اوريليوس ديد وموس واوريليوس نوفوس واوريليوستاس .
(١)

من اوريليوس جايون ، قدمت التضحيات ومعى زوجتى تاوس وامونيوس وامونيانوس ولدائى ، وثيكلابنتى .
(٢)

من اوريليوس سوروس واخيه اوريليوس باسبيوس ومن ديمتريا وسرابياس زوجتيهما .
(٣)
كانت الشهادة تكتب بواسطة مقدمها نفسه أو بواسطة كاتب محترف اذا كان صاحبها لا يعرف الكتابة . ففى احدى الشهادات وجدنا كاتبا يكتب عن سيدة تدعى اوريليا ديموس لانها تجهل الكتابة . وفى الطلب الذى تقدم به الاخوان المذكوران من قبل مع زوجتيهما ، كتب ايزيدوروس بدلا منهم لانهم لا يعرفون الكتابة أيضا .

(٥) Ἰωάννης ὁ ἀδελφὸς τοῦ αὐτοῦ (εἰς) τὴν ἀρχαῖαν ἀποστολὴν

فى بعض الأحيان كانت تضاف بعض المعلومات الى جانب اسم المضحى عن عمره والعلامات التى تميزه والوظيفة التى يشغلها . ففى احدى الشهادات يذكر الكاتب انه فى الثانية والسبعين من عمره ، وان به ندب فى حاجبه الايسر . وفى شهادة اخرى وجدنا صاحبها يذكر انه فى الثانية والثلاثين من العمر .
(٦)
(٧)

وقد جاء فى شهادة ثالثة ان مقدمها ويدعى اوريليوس يوبرود وكيوس كان اكسجيتيس سابقا لمدينة الاسكندرية الشهيرة غير القابله الاخرى .

(1) Pap. Hamb. 2, 11. 2-7.

(2) P. Oxy. XII, 1464, 11. 9-11.

(3) R. Rainer, 22, 11. 3-5

(4) P. Rylands, 12, 1. 10.

(5) P. Rainer, 22. 1. 13.

(6) Wilcken, Chrest. 124, 11. 5-6.

(7) Pap. Hamb, 1, 1. 12.

(١) ἔξ η(γη)τεύσαντος) τῆς λα(μαρ)οτάτης) πρὸς (ε)ως
τῶν Ἀλεξ(ανδρ)έων) κ(α)τ' ὡς χ(ρη)ματί(ξ)ει
وأنه يقيم في ذلك الوقت في ثيادلفيا

بعد ذلك يذكر المتقدم بالطلب انه طالما قدم التضحيات وسكب المشروبات
من أجل الالهة وانه يؤدي هذه التضحيات مرة أخرى امام لجنة الموظفــــــــــــــــين
حسب الاوامر وهو هنا يحاول اثبات وثنيته قبل صدور الاوامر وبعدها .

وفي نهاية الشهادة يوقع المسئولون ، وهم في الغالب عضو او عضوان مــــــــــــــــن
أعضاء اللجنة السابق ذكرها ، على أنهم شاهدوا صاحب الشهادة وهو يــــــــــــــــؤدي
التضحيات للالهة اما في صيغة الفرد . (٣)

أو في صيغة الجمع
(٤) Ἀνθρώποις ἐξ ἑνὸς καὶ [ἐ]μῶς εἰδόμεν ὑμᾶς
وذلك حسب عدد المتقدمين للتضحية في الشهادة

ولكن ماذا كانت نتيجة قرار دقيوس ؟ وهل قام المسيحيون فعلا بتقديــــــــــــــــم
التضحيات للالهة الوثنية؟

شكل قرار دقيوس خطرا كبيرا على المسيحيين . فالمسيحي اذا وقف امام الالهة
الوثنية يقدم لها التضحيات أصبح مرتدا ، واذا رفض الامتثال الى ذلك الامر
تعرض الى الواز من العذاب تنتهي باستشهاده . لذلك وجدنا البعض يفضــــــــــــــــل

(1) Ibid., 16, 11 5-6

(2) Ibid. 11 6-7

(3) Wilcken, Op. Cit., No. 124, 1. 17.

(4) Pap. Wessely IV, 2, No. 1, 11 14-16

الهروب والنزوح الى اماكن بعيدة عن ايدى الاداريين مثل الواحات . كما وجدنا عددا غير قليل من ضعاف المسيحيين ارتدوا عن عقيدتهم بعضا من الوقت اذ واد فيه التضحيات ، خشية العقاب ، ثم مضوا يستغفرون .

ووجدنا آخرين يرفضون رفضا باتا الامتثال للاوامر والتضحية للالهة الوثنية ويتحملون فى سبيل ذلك أقصى الوان التعذيب . وكان يهون من عذابهم احساسهم بأنهم يحاكون المسيح نفسه وكبار شهداء المسيحية ، كما كان فى استشهاد اولئك المسيحيين امثلة للشجاعة والولاء للدين فاقمت لهم بعد استشهادهم ضرائح (١) وقرها المسيحيون اكبر التوقير وكان لها اثرها فى تشجيع المخلصين من المسيحيين .

ومن بين الامثلة التى تصور ثبات المسيحيين على عقيدتهم ما ذكره يوسيبوس عن بروكيبوس الذى طلب منه احد المسئولين التضحية للالهة فرد بأنه ليس هناك الهة عديدة ولكن هناك فقط اله واحد خالق كل شىء . (٢)

وقد تقبل المسئول اجابته ولكنه امره بحرق البخور للامبراطور فرفض ورد عليه مستخدما كلمات هوميروس : (ليس من الخير ان يكون هناك سادة كثيرون فليكن واحدا فقط ملكا واحدا) فاعتبر المسئول فى ذلك اهانة للامبراطور ، واصصدر (٣) الحكم عليه بالاعدام . (٤)

ويصور لنا يوسيبوس على لسان ديونسيوس اسقف الاسكندرية كيف كان المسيحيون يضربون بالعصى وتخرق اعينهم ، ثم يسحبون جرا فى الطرق الى احدى الضواحي حيث يرجمون بالحجارة او يحرقون حتى الموت . وقد استشهد خلال حكم دقيوس العديد من الاساقفة فى جميع انحاء الامبراطورية الرومانية امثال هوريجن وفابيانوس

(1) Grant Op. cit., P. 307

(2) Eusebius, H.E. VIII

(3) II. ii. 204

(4) Salisb. & Matting. Op.Cit., P. 11.

(5) Euseb, H.E. VI 41.

والاسكندر وبابيلاس^(١) . ويذكر لكتانتوس ان المسيحيين لاقوا على ايدي دقيوس اقسى انواع المعاملة الصارمة والاضطهاد على الرغم من قصر فترة حكمه .

وقد استطاع عدد غير قليل من المسيحيين الافلات من التعذيب والاضطهاد عن طريق شراء شهادات مزورة من الموظفين تثبت انهم قد آدوا التضحيات المطلوبة وانهم غير منتسبين للمسيحية . وقد عرف هؤلاء باسم Libellatici ولعلمهم فعلوا ذلك لاحساسهم بأن خطيئة التزوير هي اخف بكثير من خطيئة الارتداد ذاته . فقاموا بشراء هذه الشهادات حتى يخفوا عن ضمايرهم وزر الردة عن الديانة المسيحية بالتضحية للالهة الوثنية . وقد تسبب ذلك في خلق نزاع طويل بينهم وبين زملائهم من المسيحيين ادى الى قتل العديد منهم^(٢) .

ولكن هل ادى قرار دقيوس وشهادات اختبار العقيدة الى قمع الديانة المسيحية ؟ نستطيع الاجابة على هذا التساؤل بأنه على الرغم من هذه الحملة الواسعة من الاضطهادات التي أدت الى استشهاد الكثيرين فان الديانة المسيحية ظلت ثابتة راسخة بل لقد اصبحت مصر على سبيل المثال في نهاية القرن الثالث دولة مسيحية الى حد كبير . وقد ساعدت هذه الاضطهادات ايضا على نشر

(1) Euseb. H.E. VI. 39

(2) Lactantius, de Mortibus Persecutorum C-3, 4.

(3) Knipfing, Op.Cit., P. 358.

(4) E. Gibbon, the Decline and Fall of the Roman Empire Vol. ii. P. 113 n. 122.

(5) Bell. Op.Cit., P. 86.

(6) Knipfing, op . cit., 359.

تلك العقيدة . ولعل ذلك راجع الى سببين : أولهما هو اعجاب العديد من الوثنيين ببطولة الشهداء المسيحيين والسبب الثانى ان المسيحيين الذين فروا واختبئوا فى الواحات والمناطق النائية نشروا المسيحية فى هذه المناطق .

(٢)
وعند وفاة دقيوس الذى قتل بعد عامين فقط من توليه الحكم توقفت اضطهادات المسيحيين ، وبدأ جاللينوس الامبراطور الجديد فى اتباع سياسة جديدة قائمة على التسامح معهم استمرت طوال ٤٠ عاما . وخلال هذه الفترة استطاع المسيحيون (٣)
انشاء الكنائس وممارسة عبادتهم فى حرية كبيرة . (٤)

(1) Bell, op.cit., P. 87

(2) Euseb.. H.E. VII. 1,2

(3) Grant, Op.Cit., 308

(4) Gibbon 11, P. 114.